Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

طراز التوشح
بين الانحراف والتناص(*)

١- مدائن التوشيح :

جاء فى رسالة اسماعيل بن محمد الشقندى فى فضل الأندلس : "أما إشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء، وحسن المبانى، وتزيين الخارج والداخل، وتمكن التمصر، حتى إن العامة تقول : لو طلب لبن الطير فى إشبيلية وجد. ونهرها الأعظم الذى يصعد المد فيه اثنين وسبعين ميلاً ثم ينحسر، وفيه يقول ابن سفر :-

شق النسيم عليه جيب قميصه ... فانساب من شطيه يطلب ناره
فتضاحكت ورق الحمام بدوحها ... هزءا فضم من الحياء إزاره

وريادته على الأنهار كون ضفتيه مطرزتين بالمناره والبساتين والكروم والأنسام، متصل ذلك اتصالا لا يوجد على غيره.

وقد سعد هذا الوادى بكونه لا يخلو من مسرة، وأن جميع أدوات الطرب وشرب الخمر فيه غير منكر، لاناه عن ذلك ولا منتقد، ما لم يؤد السكر إلى شر وعربدة . وقد رام من وليها من الولاة المظهرين للدين قطع ذلك فلم يستطيعوا إزالته وأهله أخف الناس آرواحا، وأطبعهم نوادر، وأحملهم لمزاح بأقبح ما يكون من السب، قد مرنوا على ذلك، فصار لهم ديدنا، حتى صار عندهم من لا يتبذل فيه ولا يتلاعن ممقوتا ثقيلا . وقد غابة سمعت عن شرف أشبيليه - وهى غناء على مشارفها - فذكرها أحد الوشاحين فقال :-

إشبيليا عروس .. وبعلها عباد
وتاجها الشرف .. وسلكها الواد" .(١)

فى مثل هذه المدينة الموشحة، بخواصها المادية والمعنوية بنسقها الطبيعى ونزقها الأخلاقى، ولدت الموشحة الأندلسية. ولن يكون من قبيل الصدفة أن نجد تراسلا شيقاً بين جماليات المكان وملامح الإنتاج الفنى الذى تخمر فى حضنه

(*) عن كتاب "شفرات النص".